الحكومة المحلية

ومقامها فى النظم الديمقراطية

عبارة " الحكومة المحلية " تعنى تلك المجالس المحلية التى تحكم المدينة أو القرية، وتتولى جباية بعض الضرائب من السكان لإنفاقها على المرافق العامة . والمتأمل لتاريخ أوربا يجد أن هذا النظام كان قائما حتى أيام القرون الوسطى . فإن بعض المدن الكبرى كانت على الدوام تعتز باستقلالها . وكان لكل مدينة — وخاصة تلك المدن التى تقع على الشواطئ — مجلس يتولى شؤونها و ينتخب بأساليب ديمقراطية صميمة أو مختلطة . وكلنا يعرف أن البندقية وجنوا وهامبورج كانت مدنا مستقلة . كما أن كثيرا من العواصم الأوربية كانت تحظى على الدوام بقليل أو كثير من الاستقلال الذاتى الذى تمثله مجالسها البلدية .

والأمم الأوربية تختلف فى نظرها لمقام الحكومة المحلية . ويمكن أن يقال على وجه الإجمال أن الأمم اللاتينية أقل إيمانا بهذا النظام وأقل ممارسة له فى حين أن الأمم الشمالية — وتضيف اليها الولايات المتحدة الأمريكية — أكثر إيمانا وممارسة لنظم الحكومة المحلية . ففى فرنسا مثلا نجد أن باريس تجمع السلطة وهى التى تعين موظفى المقاطعة ولا تكاد تترك للمجلس البلدى أو المحلى غير أقل الحقوق والأعمال . أما فى بريطانيا فان الحال على خلاف ذلك . حتى إن الانجليزى الساكن فى برمنجهام مثلا لا يكاد يحس أن لندن عاصمة الدولة ممثلة فى أى موظف كبيرا أو صغيرا فى مدينته . لأن المجلس البلدى فى برمنجهام يقوم بجميع ألوان النشاط الادارى فهو الذى ينتخب العمدة و يعين الشرطة ، وهو الذى يعين مقدار الضريبة التى تجبى من السكان و يقوم بايجاد المتنزهات و إنشاء الميادين وتمهيد الشوارع . بل هو يشترى أرض الضواحى و يبنى المنازل وينشئ المدارس وأحيانا ينشئ المطابخ للفقراء .

والحكومة المحلية أو المجالس البلدية أصيلة فى النظم الديمقراطية . فإن الشاب أو الفتاة التى تنشأ فى القرية تجد المجلس المحلى . وكذلك يجد الشاب أو الفتاة المجلس البلدى فى المدينة . وهو (بل هى أيضا) مكلف أن ينتخب وأن يدرس المسائل التى تواجهها مدينته أو قريته ، وهو فى هذا النضال المصغر يمارس حياة نيابية ينتفع بها فى تفهم النضال الحزبى للبرلمان الذى يسن القوانين للأمة . والمألوف المشاهد فى أوربا أن الأحزاب التى تناضل من أجل الانتخابات المحلية لا تختلف عن الأحزاب التى تناضل من أجل الانتخابات البرلمانية . فإننا

نجد الأحرار والمحافظين والاشتراكيين والفاشيين فى المجلس البلدى كما فى البرلمان ، والمحافظون يتخذون شعار الاقتصاد فى فرض الضرائب وكراهة التوسع فى النشاط البلدى . والاشتراكيون بحكمهم يطلبون زيادة الضرائب على السكان والتوسع فى الأعمال التى تقوم بها المجالس المحلية أو البلدية .

والآن ما الأعمال التى تقوم بها المجالس البلدية فى أوربا أو أمريكا ؟

والإجابة على هذا السؤال نقول إن هذه الأعمال تختلف . فهى فى الأمم الجنوبية قليلة . وفى الأمم الشمالية كثيرة . ولكن هناك أعمالا تكاد تتفق جميع المجالس البلدية على القيام بها وهى :

١ — إقامة المنشآت لتكرير الماء وتوزيعه على المنازل .

٢ — تنظيم المجارى واستغلال مياهها .

٣ — تولى الإضاءة الكهربائية أو الغازية للمدينة .

٤ — تنظيم الشوارع سواء بشق شوارع جديدة أو تمهيد القديمة أو توسيعها .

٥ — إيجاد المتنزهات للمدينة .

٦ — إيجاد المكتبات المجانية العامة .

٧ — الصيانة الصحية العامة من كنس أو تنظيف أو نحو ذلك .

ولكن هناك مجالس أخرى تتوسع وتتولى أعمالا أخرى . مثال ذلك قيامها بادارة الترام أو سيارات الركاب العامة والمدن التى تترك هذا العمل الآن للشركات أو الأفراد قليلة . وهناك إنشاء المدارس ، فإن المجالس البلدية فى المدن الصناعية تنشئ المدارس الليلية التى تعالج التجارة أو الصناعة التى تعيش بها المدينة . وكثير من المدارس الفنية فى أوربا قد أنشأتها المجالس البلدية وهى تقصد منها الى خدمة الصناعة أو التجارة فى المدينة . وهناك مجالس أخرى أنشأت بنوكا تجارية لمساعدة التجار ولتشجيع الادخار بين العمال ، وفى الأزمات لا يكاد يوجد مجلس بلدى أو محلى لا ينشئ المطابخ المجانية للإسعاف الوقتى . وفى السنوات الأخيرة توسعت المجالس البلدية فى شراء أرض الضواحى وبناء المنازل وتأجير هذه المنازل أو بيعها بالتقسيط .

وهناك مجالس قروية أو مركزية تتولى الأعمال العامة فى المركز الذى يضم نحو عشرين أو ثلاثين قرية ، وهى التى تتولى شق الطرق الزراعية وإيجاد الأسواق الريفية وتقوم بانشاء المعارض الزراعية أو الصناعية التى يقوم بها سكان الإقليم ، وأحيانا تؤسس المؤسسات الفنية لخدمة الزراعة أو الصناعة بل يبلغ من غيرة بعض المجالس على نشر الثقافة أنها تعين السيارات لحمل الكتب وتوزيعها على السكان فى الأحياء البعيدة عن المكتبات العامة .

وقد ذكرنا بعض ألوان النشاط البلدى أو المحلى على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر فإننا نستطيع أن نذكر مثلا أن بعض هذه المجالس يتولى دفن الموتى كما أن بعضها ينشئ الأندية بل قد يشترك فى الحانات لكى يحدد مقدار الكئول ويشرف على توزيع الخمور حتى لاتعطى لسكان ، وبعضها ينشئ المخابز .

والمشاهد أنه عند ما تكتسح البلاد موجة اشتراكية تنشط المجالس المحلية والبلدية وتتولى أعمالا كثيرة . وعندما تكون الأكثرية للمحافظين تقل هذه الأعمال . لأن الرأى المحافظ يقول إن الصناعة أو التجارة يجب أن تكونا حرة للمزاحمة بين الأفراد . وإذا دخلت المجالس البلدية فى بناء المنازل مثلا فإنها فى الأغلب لن تنشد منها ربحا فلا يجد المولون مجالا لاستثمار أموالهم فى البناء، لأنهم لا يستطيعون مزاحمة هذه المجالس . ولكن يرد على ذلك بأن المجالس تتولى أعمالا معينة ومحدودة فميدان المزاحمة لايزال متسعا للأفراد فى مئات الأعمال الأخرى .

وأعرق الأمم فى الحكومة المحلية هى الأمة السويسرية ، فان سكان القرية فى سويسرا هم ايضا برلمانها الذى يجتمع فى أوقات معينة ويعين الهيئة التنفيذية لحكومة القرية .

ولننظر الآن فى ألوان من النشاط الذى تؤديه مجالس بلدية بما لايخطر على بالنا فى مصر :

١ — ففى نروج مثلا تملك المجالس البلدية جميع الدور السينمائية . وهى لهذا السبب لاتثقل بالضرائب على السكان لأن دخلها كبير من هذه الدور .

٢ — يملك المجلس البلدى فى زوريخ (فى سويسرا) ثلث المساكن فى المدينة كما أنه يملك ثلاثة آلاف فدان انجليزى (أى نحو ٣٣٠٠ فدان مصرى) من أرض الضواحى التى اشتراها بأثمانها الزراعية لكى يبيعها أجزاء للبناء أو يبنى هو نفسه عليها المنازل .

٣ — يعد المجلس البلدى فى لندن أكبر المجالس البلدية فى العالم . فان ميزانيته تزيد على أربعين مليون جنيه ، وهو ينفق منها على المدارس والطرق والبناء وبناء المنازل ويساعد أندية الشباب ويؤسس المكتبات والمستشفيات .

٤ — كثير من المجالس البلدية فى أوربا يقدم الطعام بالمجان للتلاميذ الفقراء .

٥ — جميع المجالس المحلية أو البلدية تمنح المرأة حق التصويت والترشيح للانتخاب .

٦ — وجميع المجالس المحلية أو البلدية أيضا هى التى تعين الشرطة للمدينة أو القرية .

وعن قريب سينشأ للقاهرة مجلس بلدى . وليس شك فى أن الفوائد المادية التى ستعود على القاهريين من هذا المجلس ستكون عظيمة . ولكن الفوائد الروحية سوف تكون أعظم . فإن المجلس البلدى ألصق بالسكان من البرلمان . ذلك أن البرلمان يعالج شؤونا عامة تخص الأمة كلها أو هو يتناول مسائل السياسة العليا والعلاقات الخارجية والخطط الاقتصادية

مما قد يعلو على ذكاء الفرد العادى . أما المجلس البلدى فانه يعالج مسائل محلية فى هذا الشارع أو تلك المكتبة ، أو هذا المستشفى . بل هو قد يقيم تمثالا هنا ومتنزها هناك . والمناقشات الخاصة بهذه المشروعات جميعها تتصل بساكن العاصمة اتصالا حسيا . فهو قادر على التمييز بين المفيد وغير المفيد أو بين الضرورى والكمالى فيها . وهو يحس كبرياء تثير سروره وأحيانا تبعثه على التدرس لشؤون مدينته حين يرى أن مشروعا من المشروعات الذى اشترك فى مناقشتها قد تم .

وهناك أعمال كثيرة يمكن هذا المجلس أن يتولاها ويربح منها فيخفف بذلك من ضغط الضرائب على السكان .

والحكومة المحلية هى الان أساس متين من أسس الديمقراطية فى أوربا وأمريكا حتى إن كل أمة ديمقراطية تتجه نحو تفريع السلطة بحيث لا تنحصر فى البرلمان أو فى الهيئة التنفيذية فى عاصمة الدولة . والحكومة المحلية هى العلاج الناجع لجميع المساوئ التى تنشأ من تركيز السلطة فى العاصمة وما يؤدى اليه من بيروقراطية تتفشى فى جسم الدولة وتجعل الابتكار بعيدا أو مستحيلا . والمجلس بإقامته فى إقليم وانتخاب أعضائه من سكان هذا الإقليم أعرف بحاجاته وأغير على توفيره من البرلمان البعيد عنه والأمم الصغيرة مثل نروج وأسوج ودنمركا وسويسرا هى أعظم الأمم عناية بمجالسها البلدية ورغبة فى التوسع فى حقوقها . وليس هذا لأنها صغيرة وانما لأنها لا تنزع النزعات الامبراطورية . ولذلك فهى تعتنق الديمقراطية وتمارسها بأقصى حدودها . والبرنامج الذى تقوم به هذه المجالس ليس جامدا ولا هو يسير على طراز واحد . فان أحد المجالس قد يلتفت الى التعليم وآخر قد يعنى العناية الكبيرة بزينة الشواطئ بل إن آخر قد يتجر أو يؤسس بنكا تجاريا أو غير ذلك مما تتطلبه الظروف التى تختلف بين بلدة وأخرى .